الحياة الطيّبة
السنة 27
العدد 53-52
شتاء-ربيع 2023م
ملف العدد

# محرّكات خطاب الكراهية في المجتمع الرقميّ -قراءة سوسيولوجيّة-

الدكتور نديم منصوري[1]

**مُستَخلَص:**

أدخلت التكنولوجيا الرقمية نمطًا جديدًا من «الممارسات الرقميّة»، لكنّ هذه «الممارسات» ليست مجرّد استعدادات أو أنظمة معرفة تدور في ذهن الأفراد، بل هي أفعال ملموسة يقوم بها هؤلاء من خلال الاستعانة بالوسائط الرقميّة؛ من أجل تفعيل عضويّتهم في جماعة اجتماعيّة بعينها.

تطرح هذه «الممارسات الرقميّة» تساؤلات لدى أيّ متابع للوسائط الرقميّة عن سبب تمدّد لغة العصبيّة إلى أدواتها النصّيّة والمرئيّة والمحكيّة؟ حيث لم يُستَفَد من الوسائط الرقميّة على نحو فعال، بقدر ما استُخدِمَت لتبادل خطاب العصبيّات والكراهية والتسلّط والقدح والذمّ والتشهير!

تحاول هذه المقالة، تناول مفهوم مركزي في الثقافة العربية؛ وهو العصبيّة، لارتباطه بالبنية الاجتماعية التي توجّه السلوكيات والممارسات، بشكل مستتر، خلف ستارة الموروث، والانتقال لاحقاً إلى شاشات الراهن الرقمية!

(1) باحث وأستاذ في الجامعة اللبنانيّة، من لبنان.

ويكمن في هذا الاستمرار الخفي طرح العديد من التساؤلات المعرفيّة. فما الذي يجعل من العصبيّة قوّة تتحكّم في ذهنيّات الأفراد؟ ولماذا يستخدم الأفراد الوسائط الرقمية لتفريغ مشاعر العصبيّة، بدلاً من أن تكون منبراً للتلاقي والانفتاح والحوار؟

**كلمات مفتاحيّة:**

العصبيّة، التكنولوجيا الرقميّة، خطاب الكراهية، خطاب العصبية، المجتمع الرقمي.

يتساءل أي متابع للوسائط الرقمية عن سبب تمدّد خطاب الكراهية إلى أدواتها النصية والمرئية والمحكية، حيث لم تتم الاستفادة من الوسيط الرقمي على نحو فعّال، بقدر ما تم استخدامه لنشر خطاب الكراهية وللقدح والذم والتشهير. لماذا يا ترى؟

تحاول هذه المقالة تناول مفهوم مركزي في الثقافة العربية، ألا وهو العصبية، حيث يرتبط هذا المفهوم بالبنية الاجتماعية التي توجّه السلوكيات وتحرّكها بشكل مستتر خلف ستارة الموروث، لتنتقل لاحقًا إلى شاشات الراهن! ويمكن في هذا الاستمرار الخفي طرح العديد من التساؤلات المعرفيّة، ومنها: ما الذي يجعل من العصبية قوة تتحكم في ذهنيات شباب المستقبل؟ لماذا يستخدم الشباب الوسائط الرقمية لتفريغ عصبياتهم بدلًا من أن تكون منبرًا للتلاقي والانفتاح والحوار؟ إلى أي مدى تستطيع العصبية تعطيل الاندماج الاجتماعي؟

## أولًا: في مفهوم العصبية

يقوم مفهوم العصبية على ربط الأفراد عفويًا وإراديًا بوحدات اجتماعية كبرى ومغلقة، (القبيلة والعشيرة سابقًا)، (العائلة السياسية والحزب السياسي العصبي والطائفة الدينية العصبية راهنًا).

أكثر من شرح مفهوم العصبية ورسم مؤشراته هو ابن خلدون[1]، الذي اعتبره مفهومًا يقع في صلب تحليله للعمران البشري، كما يجده مفهومًا متحركًا، غير ساكن، يتحرك ويتوغل داخل قلب حياة الجماعة البشرية، ويوجه أفكارها وسلوكياتها وفقًا لقواعد مصلحة العصبة.

(1) ابن خلدون: المقدمة، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا.ت.

كما نجد في الإطار العربي واللبناني كتابين مرجعيين هما: صدام العصبيات العربية[1]، التقدم الحضاري العربي المعطوب[2].

يشرح معتوق في هذين الكتابين سبب فشل المجتمعات العربية في الانتقال إلى الدولة المدنية، ويجد أن العصبية وركائزها شكلت «معطّلات» هذه المجتمعات في عملية التحوّل الديمقراطي أو في التقدم الحضاري المنشود، والمطلوب –وفق معتوق- محو العصبية من المواطنة قبل الدخول في الدولة المدنيّة.

هذا يعني أن الاهتمام في دراسة مفهوم العصبية مسألة رئيسية، وتشكل طريقًا للنفاذ إلى فهم الواقع العربي، ولا سيما أن العصبية وركائزها باتت تمتد بشكل فاضح إلى المجال العام الرقمي.

**ويشير مفهوم العصبية إلى العناصر الآتية:**

- العصبية من أقدم المفاهيم العملانية في تاريخ المعرفة البشرية، ينتمي إلى المفاهيم التقليدية، غير أنه في الأساس، جاء مفهومًا حديثًا.
- مفهوم العصبية مفهوم كوني نجده في الكثير من التجارب والثقافات في العالم.
- مفهوم العصبية تركيبي، ذهني، يتقولب بأشكال جديدة بحسب الحاجة الموضوعية للجماعة التي تعتمده.
- يتمتع مفهوم العصبية بمرونة بنيوية تسمح له البقاء والاستمرار والتآلف مع كل جديد[3].

(1) معتوق، فردريك: صدام العصبيات العربية، لا ط، بيروت، منتدى المعارف، 2017.
(2) معتوق، فردريك: التقدم الحضاري العربي المعصوب، لا ط، بيروت، منتدى المعارف، 2019.
(3) معتوق، صدام العصبيات العربية، م.س.

نستخلص من خلال هذه العناصر بأن العصبية هي مفهوم قديم، من التقليد، كوني، تركيبي، ذهني، يتمتع بمرونة بنيوية تؤمن له الاستمرار عبر الزمن.

سمحت هذه المرونة البنيوية للعصبية كمفهوم أن ينزلق إلى الساحة الرقمية بمختلف منصاتها، وبات خطاب العصبية خطابًا خطيرًا يؤثر في الحياة الواقعية، ويصنع رأيه العام وفق مقتضياته.

### السيرورة التاريخيّة للعصبيّة:

من هنا لا بد من استعراض السيرورة المعرفية للعصبية عبر التاريخ[1]. فإذا عدنا بتأصيل المفهوم نجده يعود إلى "القطيع البشري الأول" (مرحلة ما قبل التاريخ)، حيث شكلت رابطة الدم حصنًا منيعًا للمجموعات الصغيرة القلقة على مصيرها من الحيوانات المفترسة ومن المعتدين، فكانت الأسرة الممتدة والتفافها على نفسها ضمن عصبة واحدة الملاذ الآمن الذي يحميها ويؤمن لها البقاء.

أما مع مرحلة التاريخ القديم، فقد أصبحت العصبية قائمة على الجماعة (العشيرة – القبيلة)، وأصبح دافعها سياسيًا بقرار صادر عن شيخ القبيلة بهدف تحقيق الغلبة والسيطرة، فالغلبة هي القانون والدستور، ومنها تتفرع كل المعاني وغايات الأفكار، إنها قلب العصبية النابض. ومعنى الغلبة بحسب ابن منظور، ليس الانتصار حصرًا، بل يكمن في القهر والانكسار؛ مما يمنح الغالب سلطة القرار في تحديد مصير المغلوب، وعلى الأخير أن يقبل طوعًا بالقهر وبجميع قرارات الغالب!.

في مرحلة التاريخ الوسيط اتخذت العصبية أشكالًا متعددة مع تنوع دول الملك، الإمارة والمملكة والإمبروطورية والسلطنة..، فأصبح لدينا

(1) انظر: جدول رقم 1.

عصبيات قومية (عصبيات الـدول)، عصبيات مذهبية (عصبية الدولة والدين)، عصبيات إثنية (عصبية الدولة والعرق)، وبات دافع العصبية أبعد من كونه دافعًا أمنيًا أو سياسيًا، ليصبح إطاره تسلطيًا صادرًا عن رأس الهرم، مع ما يرافق ذلك من ممارسة أشكال المغالبة بالعنف المباشر من قتل وقوة عسكرية من جهة، وممارسة أشكال الممانعة بالعنف الرمزي عبر أساليب ناعمة تؤمن استمرار الغُلب، وتعمل على تكريس وجه الغُلب العصبي العسكري، إلى قناع سلمي سياسي يتعامل مع المغلوبين على نحو غير قاهر.

أما في مرحلة التاريخ المعاصر، فتسود أشكال التعددية العصبية من خلال رؤساء دول يحكمون من خلال عصبيات أحزابهم السياسية أو الدينية أو المذهبية، وذلك وفق خطاب مغلف يتضمن السلطة العصبانية في عمقه، مما أنتج سلطة هجينة مهيمنة تتكلم باسم الدستور والقانون ونشر السلام.

في مرحلة العصر الرقمي، عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وصل العنصر الاجتماعي (الإنسان) إلى حالات جديدة من العلاقات، تتمظهر في وسط تكنولوجي اتصالي جديد لا يشبه الأوساط الاتصالية السابقة التي أنتجت العلاقات الاجتماعية للإنسان، بل بدأت تأخذ أشكالًا جديدة، هو المركّب الاجتماعي الجديد المتألّف من علاقة العنصر الاجتماعي (الإنسان)، بعناصر اجتماعية أخرى (الأفراد الرقميون والافتراضون)، ليتكوّن بذلك شكل مختلف من العلاقات الاجتماعية هو العلاقات الاجتماعية الرقمية والافتراضية، مما ولّد ظواهر اجتماعية جديدة ضمن الفضاء السيبراني التي أصبحت مجتمعًا يزاحم وجود الإنسان في مجتمعه الواقعي. ويعتبر ذلك من أبرز التحديات التي تواجه المجتمع الإنساني في الوقت الراهن.

لقد أدى التغير الاجتماعي الجديد إلى تحوّل الإنسان من محيطه البشري الطبيعي، إلى محيطه البشري الرقمي. وانتقلت الظاهرة الاجتماعية بمختلف أبعادها الثقافية والتربوية والفنية والاقتصادية والسياسية والقانونية... من كونها طبيعية أو بشرية بالمطلق، إلى أن تتمثل إلكترونيًا أو رقميًا أو افتراضيًا بمختلف الأبعاد أيضًا وربما أكثر، حيث لا يمكننا أن نجد اليوم ظاهرة في المجتمع الإنساني لا نجد لها رديفًا في المجتمع الرقمي، بل قد نجدها تتخذ أشكالًا أكثر تشعّبًا وتعقيدًا[1].



(1) منصوري، نديم: الثورات العربية بين المطامح والمطامع، لا ط، بيروت، منتدى المعارف، 2012م.

## جدول العصبية في سيرورتها المعرفية (جدول رقم 1)

| وقود الاقتصاد | وقود السياسة | الوضعة من الآخر | المنظّر | المجال الجغرافي | مبدأ الحكم | أدوات السلطة | صاحب القرار | الدافع | التشكّل العصبي | الفترة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| القطيع البشري الأول | | | | | | | | | | |
| الكفاف | الأعراف | تحفظ وحذر | أي كبير | المنطقة | التضامن | الشباب | المعمّر | أمني | العائلة الممتدة | ما قبل التاريخ |
| عصبية الجماعة | | | | | | | | | | |
| الثروة الزراعية، الغنائم | التقليد | دفاع احتوائي | ابن تيمية (فقيه) البابا أوربانوس الثاني | العقليم | الغُلب | فرسان القبيلة | الشيخ | سياسي | العشيرة القبيلة | التاريخ القديم |
| عصبية دولة المُلك | | | | | | | | | | |
| خزينة الملك، الضرائب | الأوامر الملكية | استباع | Machiavelli Politologue | البلاد- الوطن | المغالبة بالعنف المباشر+ الممانعة بالعنف الرمزي | الجُند، العسكر، الجيش النظامي | الملك | تسلطي | الإمارة-المملكة-الامبروطورية-السلطنة عصبية الدول والقوم عصبية الدولة والدين عصبية الدولة والعرق (العصبيات القومية) (العصبيات المذهبية) (العصبيات الإثنية) | التاريخ الوسيط |
| عصبية دولة الجمهورية | | | | | | | | | | |
| تقاسم المال العام | الدستور المعكوف | دفاع هجومي كامن، اندماج تمظهري | Verwoed politologue-Psycho | الأوطان الصغيرة ضمن الدولة التوافقية | ترسيم الحدود السياسية الفاصلة+ التمسك بالتوازن السياسي المركب | أجهزة الدولة الأيديولوجية والأمنية | رئيس الدولة المنتخب عصبيًا+ المجالس | هيمني مركب | جمهوريات الهجانة (التعددية العصبية) الأحزاب الشعوبيّة الأحزاب الدينية و/أو الطائفية الأحزاب القبلية | التاريخ المعاصر |
| عصبية المجتمع الرقمي | | | | | | | | | | |
| اقتصاد المعرفة+ تقاسم المجال العام | السياسات العالمية | تفاعلي | المبرمج، المقرصن | كوني | المغالبة بالعسكر الرقمي+ الممانعة بالعنف الرمزي الرقمي | الجيوش الإلكترونية، المبرمجون، القراصنة | رؤساء دول+ أصحاب الشركات الرقمية الكبرى | إعادة إنتاج التسلط | الدول الافتراضية (التعددية العصبية الكونية) عصبية الدولة والقوم عصبية الدولة والدين عصبية الدولة والعرق | العصر الرقمي |

تم تصميم الجدول بتاريخ 14/10/2023

## ثانيًا- ركائز وأشكال خطاب العصبية في المجتمع الرقمي

### 1- ركائز خطاب العصبية في المجتمع الرقمي:

تطلق منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة (اليونسكو) على المحتوى الرقمي المتضمن كافة مضامين الكره والتشهير والتطرف.. اسم "خطاب الكراهية"[1]، كما أن معظم المعايير الدولية والمواقع الإلكترونية تقوم بتوصيف الخطاب المفعم بالتطرف بأنه خطاب كراهية، إلا أنه لا بد من الالتفات إلى أن "الكره" هو نتيجة لذهنية مركبة في البنية الاجتماعية، وتتمكن هذه الذهنية من صناعة الكره في مصنع العصبية، ومن دون هذا المصنع لما احتوى الخطاب المتداول بين الجماعات المختلفة على مضمون القدح والذم والتشهير والتحقير...؛ لذا فإننا نرد "خطاب الكراهية" إلى الجذر الحقيقي ومصدره، لا إلى واحد من نتائجه، وبالتالي فإنّه يمكننا توصيف المحتوى الرقمي المتطرف بـ"خطاب العصبيات".

ترتكز العصبية بحسب ابن خلدون على ثلاث ركائز أساسية هي: "النعرة، التذامر، الاستماتة"، ومعها يصبح الأفراد كشخص واحد في التفكير والتعبير وممارسة الأفعال. فكيف يمكن لهذه الركائز أن تظهر كخطاب في المجتمع الرقمي؟

على الرغم من كثرة وتعاظم الأعداد المشاركة في استخدام الوسائط الرقمية عربيًا وإسلاميًا، إلا أن العصبيات قادرة على توحيد المحتوى الرقمي بشكل سحري بفضل سر العصبية، فالعراقي والسوري واللبناني والسعودي والإماراتي... الذين ينضوون تحت عصبية واحدة، تجدهم يغردون على أنغام التغريدات نفسها، ويعلقون التعليقات عينها، ويشاركون الملفات والفيديوهات التي تصب في المصلحة العليا لصاحب شوكتهم، متضامنين

(1) Gagliardone, Iginio: Combattre les Discours de Haine sur Internet, Paris, Organisation de Nations pour l'education, la sience et la culture (UNESCO), 2015.

تحت رايته. بمعنى آخر، على الرغم من الاختلافات المكانية والثقافية والاجتماعية التي تفرق بين هؤلاء المستخدمين، نجدهم يتوحّدون للسير بشكل عفويّ، بعناصر العصبية الخلدونية وإن بشكل مستحدث وعصري ورقمي.

ويبدو أنَّ ركائز العصبية الخلدونية قد أخذت أشكالًا جديدة في المجتمع الرقمي، إلا أنها تصب في الوعاء العصبوي نفسه، فـ"النعرة" التي تشكل العنصر الأول من ركائز العصبية، هي صوت يصدر من الأعماق بشكل صراخ، صراخ فيه عصب الاحتجاج، الاستنفار، الاستنهاض؛ هو رسالة تحذيرية، صوت استباقي، نعير تهديدي.

تستكمل ركائز العصبية قوّتها في عنصرها الثاني "التذامر"، العنصر المكمل للأول، فلا يقف الأمر على نعير يوقظ الفاعلين الرقميين، بل على حضّ أهل العصبة على المشاركة الملزمة، ولومهم المسبق على احتمال عدم الامتثال للنعير الرقميّ. يشعر أهل العصبة بالاستهداف الدائم؛ لذا يستمر قلقهم وتخوفهم من عدم الامتثال والتلبية لدعوة العصبية.

إلا أنَّ المجتمع الرقمي قد شكّل ساحة فعلية لنقل الفرد من الحالة الافتراضية إلى الحالة الواقعية، ففي هذا المجتمع تم تجنيد آلاف المقاتلين المستعدين إلى الاستماتة نصرة لعصبيتهم، وقد صرح مسؤولون بمنظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) بأن أكثر من 15 ألف مقاتل أجنبي من نحو 81 دولة توجهوا للقتال في صفوف الجماعات المتطرفة تحت راية «الدولة الإسلامية - داعش» في العراق وسوريا، ومنهم 3 آلاف مقاتل من الغرب، وألف منهم على الأقل من القارة الأوروبية (نحو 500 منهم من المملكة المتحدة و250 من بلجيكا). وتحوي صفوفهم نحو مئة مواطن أميركي[1].

(1) حنوش، رنيم: تويتر ويوتيوب سلاحا "داعش" في تجنيد المتطرفين، لا ط، لندن، جريدة الشرق الأوسط، 2014.

إن التمكّن من اجتذاب المقاتلين وتحويلهم إلى وقود العصبة لا يتم سوى باعتماد العتبتين السابقتين بإحتراف عصبوي، فالتذامر الرقمي الذي أظهر بأن أهل العصبة في خطر، يحاصرون وينتهكون ويقتلون، يولّد مشاعر التعاطف والتضامن وينقلهم إلى عتبة الاستماتة.

## 2- أشكال خطاب العصبية في المجتمع الرقمي:

تختلف أشكال الخطاب العصبوي في المجتمع الرقمي بحسب الجهة المستخدمة، فهي قد تكون دولة لديها جيش إلكتروني تعمل على تسويق أفكارها بأنواع مختلفة من الخطابات، ويمكن أن تكون أحزابًا سياسية أو دينية أو طائفية، ويمكن أن يكون جماعات منظمة أو مجرد أفراد.

كل هؤلاء يشتركون في صناعة المحتوى الرقمي الذي يَخُفُق بنبض العصبية، فالأمور تتجاوز حدود حرية التعبير، بل هي استراتيجيات محكمة لتوجيه كل جماعة نحو عصبيتها.

**سنعرض أبرز أشكال خطاب العصبيات في المجتمع الرقمي:**

### 1- الخطاب العنصري:

يأتي الخطاب العنصري نتيجة لمنظومة تفكير وسلوك يرتكز على استيعاب ذهني لنظرية التفوق العرقي والالتزام بمقتضياتها الغلبية سياسيًا. هذا التفكير قاد المجتمعات الأميركية (الحرب الأهلية الأميركية 1861-1865)، والمجتمعات الأوروبية (النازية والفاشية)، إلى الكثير من مظاهر العبودية والعنصرية والعنف، إلى أن ساد لاحقًا، وبعد مسار طويل، خطابات حقوق الإنسان والمساواة.

وعلى الرغم من أن أغلب المجتمعات في العالم تستنكر العنصرية وتسّن لها التشريعات لمحاربتها، إلّا أنّها لم تستطع أن تمنع التفكير الذهني الباطني العفوي، من التحرك مع بروز العصبيات القومية أو الوطنية أو الدينية أو السياسية.

لا بد من الإشارة إلى أنّ الخطاب العنصري الذي نلحظه في الوسائط الرقمية حاليًا لا يرتكز على عنصرية شبيهة بالعنصرية النازية التي كانت فلسفة حياة، ترتكز على استيلاد جنس بشري أرقى، يحمل جينات العرق الجرماني الأصلي، القادر على تأمين خلاص البشرية. فالعنصرية الرائجة اليوم، هي عنصرية فوقية تستند إلى اعتبارات ذاتية (بلاد غنية/ بلاد فقيرة- أكثرية مذهبية/ أقلية مذهبية- أفراد متعلمون/ أفراد أمّيون- مقيمون/ مهاجرون. بمعنى آخر لا تحمل خطابات العنصرية الرائجة عبر الوسيط الرقمي مشروعًا عنصريًا، بل تتضمن مظاهر عنصرية.

ففي الولايات المتحدة الأميركية، شكّلت خطابات وتغريدات الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب تجاه المهاجرين، حالة تذامر رقمي، دفعت بعضهم إلى السعي لإعادة إحياء التفوق العرقي الأبيض؛ مما أدى إلى نتائج دموية واقعية، لا رقمية فقط، أبرزها الجريمة التي أدت إلى مقتل تسعة وعشرين شخصًا في إطلاق نار عشوائي شهدته ولاياتا تسكاس وأوهايو في 04 آب 2019، وعلى الرغم من مسارعة الرئيس الأميركي -حينها- إلى إدانة الجريمة التي وصفت «بجريمة كراهية»، بقوله: «يجب على أمتنا أن تدين العنصرية والتعصب ونزعة التفوق للعرق الأبيض» أو اعتباره أنّ «شبكة الإنترنت تسبّب في تطرف عقول مضطربة»[1]، إلا أن ذلك يعكس كيف أن الخطاب العنصري بأبعاده العصبوية دائم الاستعداد للاستنهاض في مواجهة أي عصبية أخرى.

وقد نشر مطلق النار (باريك كروسيوس Patrick Crusius، 21 عامًا) وثيقة كراهية عبر موقع إلكتروني قبل 90 دقيقة من الهجوم، عبّر فيها عن كرهه للمهاجرين اللاتينيين الذين يغزون بلاده عبر الحدود الجنوبية للولايات المتحدة مع المكسيك، وأن هدفه هو "الاستماتة بالمعنى

(1) WhiteHouse: White House WebSite, 05 August, 2019. https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-mass-shootings-texas-ohio/.

الخلدوني" لتخليص الولايات المتحدة من المهاجرين المقتحمين لبلاده، علمًا أن مطلق النار قد صرّح بحبه للرئيس ترامب وتأثره بمواقفه وتأييده له لبناء الجدار الفاصل بين أميركا والمكسيك، ومعتبرًا أن الحلول السلمية باتت مستحيلة[1].

كذلك تنشط العديد من المواقع للترويج لأعمال العنف ونشر خطاب الكراهية، أمثال: موقع Infowars[2] المتطرف الذي يملكه أليكس جونز Alex Jones(مواليد 1974) موقع Breitbart[3] الذي يملكه ميلو يانوبولوس Milo Yiannopoulo (مواليد 1984)، أو جماعات متطرفة عبر الإنترنت مثل: بريطانيا أولًا Britain First، وهي حركة سياسية فاشية بريطانية يمينية متطرفة أسسها أعضاء سابقون في الحزب الوطني البريطاني BNP[4] عام 2011، أو بعض الأفراد مثل بول نهلن Paul Nehlen (مواليد 1969)، المناصر لعنصرية أصحاب البشرة البيضاء، ولورا لومار Laura Loomer (مواليد 1993)، الناشطة ضد الإسلام ولها حضور كبير على مواقع التواصل الاجتماعي.

وهذا الشكل من أشكال العنصرية في العالم، لا يغيب أبـدًا عن المجتمعات العربية التي تشهد الكثير من عبارات العنصرية والتحيز للجنسية فيما بينها.

(1) Metro_Journal: Metro Journal Website, Day Accessed at 04 /08/ 2019. https://metro.co.uk/201904/08//texas-walmart-shooter-trump-fan-wrote-hate-filled-racist-manifesto-massacre10514631-/.

(2) Infowars_Website: Infowars Website, Day Accessed at 23 Oct, 2019. https://www.infowars.com/.

(3) Breitbart_Website. Breitbart Website.Day Accessed at 23 Oct, 2019. https://www.breitbart.com/.

(4) Palmer, Ewan: Who are Britain First? The Far Right Party. Ibtimes Website. 21 May, 2014. Day Accessed at 23 October, 2019. https://www.ibtimes.co.uk/who-are-britain-first-far-right-party-invading-mosques1449289-.

**2- الخطاب التكفيري:**

نجد الخطاب التكفيري بـارزًا في المحتوى الرقمي، لا تستخدمه الجماعات المتطرفة وحسب، بل هو خطاب شائع في صفوف أبناء الجيل الرقمي، فالتكفير ليس مسألة دينية، بل هو عقوبة سياسية بوجه ديني لجميع المعارضين على سلطة صاحب الشوكة.

برز الخطاب التكفيري بشكل واضح عبر الوسائط الرقمية مع انطلاق ما سمّي «الربيع العربي» أواخر العام 2010، ووصل إلى حده الأعلى في الفترة التي أعلنت فيه ما سمي بـ«الدولة الإسلامية- داعش» في 29 حزيران/يونيو 2014.

عمل «داعش» على صوغ عقيدة تستند إلى الموروث، لكن بصيغة جاذبة ارتكز تسويقها بشكل أساسي على الوسائط الرقمية. ولقد كان مرتكز تلك العقيدة إيقاظ العصبية التابعة لمنهجية التكفير؛ لأن تكفير الآخر هو من يصنع حدودًا وهوية الجماعة، هو من يصنع الآخر "العدو" وتمنح الذات كينونتها وهويتها وإطارها ورؤيتها، أي أن التكفير مكون جوهري لهوية الجماعة بحسب أمين معلوف[1]، ومن دونه لن تتشكل الجماعة ضمن صفوف تتقاتل ضد الآخر/الكافر، فالتكفير يعمل على تصنيع العصبية بحسب الفهم الخلدوني، مشكّلًا فهمًا عصبويًا للذات، وحدودًا ذهنية للآخر مرتسمة في وعيه، الأمر الذي يجعل جماعة العصبة متمايزة عن الجماعات الأخرى ومعادية لها بشكل شرس.

**د - الخطاب الديني – الطائفي - المذهبي:**

لقد شهد التاريخ القديم والمعاصر الكثير من الحروب الدينية، إلا أنه بات لهذه الحروب ساحة جديدة للصراع؛ مما جعل الجماعات الدينية المتطرفة تنشط عبر الإنترنت في نشر موادها على المواقع أو الصفحات

(1) معلوف، أمين: الهويات القاتلة، لا ط، دمشق، لا ناشر، 1999.

الشبكية للمنظمات المتعاطفة معها التي تروج للتمييز والعنف الديني. فضلًا عن ذلك، فإن شبكة الإنترنت لم تعد قناة تستغلها الحركات والجماعات المتطرفة لنشر خطاب العصبيات والتحريض الديني والمذهبي وحسب، بل هي أيضًا أداة لتوسيع شبكات أفرادها وحركاتها في العالم.

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر تعرض الإسلام والمسلمون للوصم والعداء في وسائط الإعلام الغربية، وربطت بعض تلك الوسائط الإسلام بالإرهاب؛ مما شكل محركًا أساسيًا لظهور كراهية الإسلام في العالم وظهور الإسلاموفوبيا تجاههم، وقد استغلت المنظمات المتطرفة_المعادية للمسلمين، المنصات الرقمية لنشر رسائل الخوف والغضب اتجاههم.

ففي دراسة أجرتها جامعة آلاباما Alabama الأميركية[1] حول التغطية الإعلامية التي تحظى بها الهجمات الإرهابية المرتكبة من قبل متطرفين مسلمين، وتلك التي يرتكبها غير مسلمين في الولايات المتحدة الأميركية تبيّن لها الآتي:

- إنّ الهجمات الإرهابية التي يقوم بها متطرّفون مسلمون تحظى باهتمام إعلامي أكثر بـ357 c مقارنة مع الهجمات الأخرى.
- كان نصيب الهجمات الإرهابية التي ارتكبها غير المسلمين من التغطية الإعلامية، 15 عنوانًا مقارنة بـ105 لعمليات قام بها مسلمون.
- إنّ الخوف من الإرهابيين المسلمين بين عامة الناس، أكبر بكثير من الحالات الإرهابية الأخرى.



(1) Mona Chalabi: Terror attacks by Muslims receive 357c more press attention, study finds, The Guardian Website. 20 Jul, 2018. Day Accessed at 23 Oct 2019. https://www.theguardian.com/us-news/2018/jul/20/muslim-terror-attacks-press-coverage-study

وفي المقابل استغلت الجماعات الإسلامية المتطرّفة (مثل تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي، تنظيم داعش، حركة الشباب المجاهدين في الصومال وبوكو حرام) الوسائط الرقمية من أجل الترويج لأفكارها، وتبنّي نشاطاتها، وإقناع الجماهير بعقيدتها، وتجنيد الشباب في صفوفها؛ مما أدى إلى وصف هذا الاستغلال بأنه «نتاج زواج فاسد وقاتل لشكل جديد من العدمية مع العصر الرقمي»[1].

**هـ- الخطاب السياسي:**

يشكل الخطاب السياسي مادة دسمة للنقاش عبر التاريخ، من أرسطو الذي يعتبر «الإنسان حيوانًا سياسيًا»، وصولًا إلى هابرماس في أنموذجه الفكري المبني على الفعلّ التواصلي.[2]

ويعتبر هابرماس من أبرز المفكرين الذين وجدوا في أنموذجهم الفكري (براديغم) بديلًا عن الرأسمالية في مجال الاتصالات المبنية على النقاشات الحرة بين الأفراد، والنقاشات التداولية بين مواطنين متساوين، إلا أنه يعود ويحذر من دخول الأيديولوجيا في العقلانية التقانية، وأن الحسابات السياسية تعرّض العلم للتشويش لمصالح أصحاب القرار، وأن الحل يكمن في «تكون إرادة سياسية تلزم نفسها مبدأ الحوار العام الخالي من السيطرة»[3]، أي عن طريق تطبيق العقلانية التواصلية من خلال ما سماه الديمقراطية التداولية.

إلا أنّ الواقع في المجال العام الرقمي لا يفضي إلى ما تمنّاه هبرماس،

(1) United_Nations_Human_Rights: United Nations Human Rights وUnited Nations Human Rights Web Site. 16 October, 2014

(2) Habermas, Jurgen: The Theory of Communicative Action: Lifeworld and System: A Critique Of Functionalist Reason, [trans.] Thomas McCarthy. Boston: Beacon Press, 1987. Vol. One.

(3) هابرماس، يورغن: العلم والتقنية كـ "إيديولوجيا"، ترجمة: حسن صقر، لا ط، ألمانيا، منشورات الجمل، 2003م.

فالخطابات والنقاشات المتداولة عبر الوسائط الرقمية بمعظمها، مبني على قوة العصبية أو المحركات الأيديولوجية، وليس على قوّة الحوارات العقلانية المسندة على قوة الحُجّة؛ بذلك يغيب المنطق العقلي، ويطفو المنطق العاطفي والعصبي.

ظهر ذلك جليًا في خطابات «الربيع العربي»، وفي طرق استثمار الحكومات والأحزاب والجماعات للمنصّات الرقمية للمصالح السياسية[1].

لكن الأخطر من كل ذلك، هو إنشاء الجيوش الإلكترونية التي يتّجه عملها الأساسي على نشر خطاب العصبية والكراهية وصناعة الرأي العام بحسب وجهة نظر هذه الجيوش، وهي مجموعات مدربة على تقنيات الإنترنت والمنصّات الإلكترونية، تعمل وفق أجندة خاصّة هدفها اختراق مواقع الخصوم، والترويج لأفكارها وبرامجها، وخلق رأي عام مؤيد لها (صناعة الرأي العام)، أو حرف الآخرين عن اعتقاداتهم عبر نشر الإشاعات والأكاذيب المضللة (تضليل الرأي العام). وبدأت الدول بإنشاء الوحدات الإلكترونية كجزء من أجهزتها العسكرية والأمنية لحماية أمنها القومي.

ويعتبر الكيان الصهيوني الأكثر تقدمًا في استخدام الجيوش الإلكترونية، وقد أنشأت وحدات إلكترونية داخل جيش العدوّ، وهي تقوم بتعليم التكنولوجيا الرقمية وأساليبها خلال الخدمة العسكرية وفي الجامعات والمعاهد، لتحقيق أهداف إسرائيل.

وأنشأت في هذا الخصوص «الوحدة 8200» المعروفة أيضًا بوحدة SIGINT الإسرائيلية، التي تعتبر ثاني أكبر جهاز للرصد والتنصت والتشويش من خلال التكنولوجية الرقمية في العالم بعد الولايات المتحدة الأميركية.

في هذا الإطار، أعلن الكيان الإسرائيلي في حزيران 2017 عن إنشاء صندوق ليبرتاد Libertad، وهو صندوق استثماري إسرائيلي يختصّ

(1) منصوري، نديم: الثورات العربية بين المطامح والمطامع، م.س.

بتكنولوجيا التجسس، أنشأه جهاز المخابرات الإسرائيلي (موساد) لبناء «قدرة ابتكارية خارقة» والحفاظ على تفوقه التقني وتعزيزه، في خطوة تعتبر الأولى من نوعها. ويهدف هذا الصندوق على تشجيع الأفراد والمؤسسات المنتجة للأفكار التكنولوجية بتمويل مشاريعهم (600 ألف دولار للمشروع الواحد)، تجنيد أفضل العقول في العالم لصالحها من خلال عرضها لقائمة الوظائف التي تحتاجها (باللغة الإنكليزية العربية الفارسية الروسية) والتي تصبّ في رفع القدرة على تجميع المعلومات الاستخباراتية ونشر أفكارها.

هذا ما يشير إلى خطورة الخطاب السياسي عبر الوسائط الرقمية؛ لأنه بات يشكّل طريقًا لصناعة الرأي العام وتوجيهه.

### ثالثًا- جدل الهوية الرقمية والعصبية

من أكثر الموضوعات التي أثارت اهتمام الباحثين هي قضايا الهوية الرقمية وعلاقتها مع الشخصية الوطنية في ظل تجليات المجتمع الرقمي؛ ذلك أن الذات الخاصة للمجتمع باتت تتفاعل مع الذات الكونية، وبالتالي نسأل في ظل العصبية المسيطرة على سلوكيات الأفراد، هل يمكن للهوية الوطنية الانتقال إلى ذات كونية، وبالتالي الانصهار ضمن هوية رقمية عالمية؟

بداية لا بد من تفسير الهوية الرقمية التي تقع ما بين تعريفين مهمين؛ الأول تقني، والثاني اجتماعي. يرتكز التعريف التقني على مجموعة من المبادئ الضرورية لانتماء الفرد إلى المجتمع الرقمي.

أما التعريف الاجتماعي، فيشوبه الكثير من الغموض والتعقيد، فهي هوية لا تحدّها حدود جغرافية، إنها تتفاعل مع المواطنين الكونيين الآخرين انطلاقًا من خلفيات متعددة يمكننا تحديدها بثلاث خلفيات:

- الإطار الذاتي للشخصية، أي (هويته الوطنية المحلية)
- الإطار الرقمي للشخصية، أي (هويته الرقمية الافتراضية العالمية)
- الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الرقمي نحو الإطار الكوني الأوسع

**1- مبادئ الهوية الرقمية تقنيًا:**

يمنح هذا الانتساب صاحبه هوية رقمية Profile يظهر من خلالها أمام الأفراد الرقميين الآخرين، ويتم ذلك، من خلال البيانات التعريفية التي يعرضها في مواقع التواصل الاجتماعي الخاص به، ومن خلال المحتوى الرقمي الذي يعرضه من رأي أو تغريدة Post or Twee، إعجاب أو إعادة تغريد Like or Retweet ، تعليق Comment، مشاركة Share، عرض صور أو فيديو Photo or Video... قد يكون هذا المحتوى الرقمي عصبويًا يعكس الخلفية الثقافية للفرد الرقمي الآتي من بيئته التقليدية مازال يدور في فلكها، فتكون هويته الرقمية في هذه الحالة مجرد منصة ينطلق منها لتصفية حسابات محددة في عالمه الواقعي. هؤلاء الأفراد يستخدمون الوسائط الرقمية كوسيلة، ولم يحن وقتهم لينتقلوا إلى العالم الرقمي الواسع.

تعتبر هذه المسألة في غاية الأهمية؛ لذا يمكن فرز الأفراد المستخدمين للوسائط الرقمية بين نمطين:

- أفراد غير رقميين يستخدمون الوسيط الرقمي لغايات مجتمعية واقعية.
- أفراد رقموين يستخدمون الوسيط الرقمي بغاية الدخول إلى مجتمع عالمي جديد، منفتح الآفاق، متعدد الثقافات، متجاوز للعصبيات.

من جهة أخرى، فإنّ الهوية الرقمية التي تستند إلى مجموعة من البيانات عالية الدقة التي تحدد هوية الفرد، تشبه الهوية التعريفية التقليدية ID، لكنها أشمل وأوسع نطاقًا.

هذا جانب تقني للهوية الرقمية، إلا أنه جانب في غاية الأهمية؛ كونه سيدخلنا في «الكونية»، بغض النظر عن رغبتنا الشخصية في ذلك من عدمه. ومن هنا يصبح فهم المجتمع الرقمي بأبعاده المختلفة فرصة لجميع الأفراد في العالم للخروج من ذواتهم المنغلقة والاتجاه في تفكيرهم إلى الذات العالمية المنفتحة. وهناك مجموعة من المبادئ التقنية التي لا بد من توافرها ليحصل الفرد على هويّته الرقمية[1].





(1) تحديدات مصطلحيّة:

- الشمولية Inclusion: كل شخص له الحق في الحصول على الهوية الرقمية، بمعنى آخر هي مسألة تشمل كافة سكان الأرض، ومن يخرج عن هذا الواقع سيكون خارجًا عن العالم المستقبلي.
- الملكية Ownership: إن ملكية بيانات الهوية الرقمية حق تحفظه القوانين المحلية والعالمية؛ لذا يصبح الاعتداء على هذه الملكية جرمًا يحاسب عليه القانون.
- السهولة Simplicity: يجب أن يكون استخدام الهوية الرقمية سهلًا، غير معقد، يسمح للتفاعلات الرقمية أن تحدث بالحد الأدنى من البيانات.
- السرية Confidenticity: لا توجد حكومة واحدة أو شركة تقنية أو مؤسسة مالية أو حتى قطاع كامل، يمكنه تقديم خدمة الهوية الرقمية بشكل فعال بمفرده؛ لذا فالتعاون والشراكة والتنسيق هي أمور أساسية وضرورية وتتطلب سرية تامة؛ لتمنح المستخدم الاحتفاظ بمعلوماته الخاصة بشكل سري.
- الموافقة Consent: لا يتم استخدام الهوية الرقمية دون الموافقة المسبقة من صاحبها.
- الشفافية Transparency: يحق للفرد الاطلاع على كيفية استخدام بياناته الشخصية بكل شفافية.
- الأمن النزاهةSecurity & Integrity: في المجتمع الرقمي، يكون الفرد في كثير من الأحيان في علاقة مع مجهول أو أطراف عديدة مجهولة. ومن هنا يصبح عامل الأمن والنزاهة أساسيًا لضمان التعامل في المعاملات والتبادلات الرقمية.
- حق البياناتData Rights: الوصول إلى بياناته حق تكفله القوانين التشريعية.
- الاستخدام العادلFair Use: أن لا يتم استخدام الهوية الرقمية لأغراض غير مشروعة.
- الخيارChoice: يحق للفرد اختيار مقدم الخدمة الذي يثق به أو أن يغيره متى يشاء.

رسم رقم 1: مبادئ الهوية الرقمية من الناحية التقنية

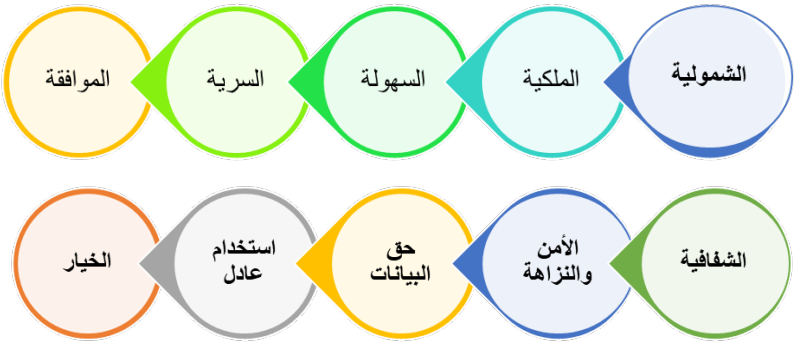


المصدر: المؤلف

## 2- مبادىء الهوية الرقمية اجتماعيًا:

يشير الفهم السوسيولوجي لمفهوم "الهوية" إلى مجموعة الأفكار التي يكّونها الآخر عن الفرد، والأفكار التي يحملها عن ذاته؛ ذاك أن هوية الإنسان تتحدد ضمن علاقات التشابه والاختلاف التي يعيشها مع الأشياء الأخرى، وبذلك يبدأ الجدل حول المصدر الحقيقي للهوية. هل يختار الفرد هويته بمفرده، أم أنها تتبلور بفضل آخرين؟ هل تأتي من خصائص شخصية، أم من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها؟ هل مصدر الهوية بيولوجي أم طبيعي أم ثقافي أم فكري..؟ ما هي العوامل التي تساهم في بناء الهوية؟ وهل هي ثابتة أم دينامية؟

قام العديد من الباحثين في محاولات الإجابة عن هذه الأسئلة، أمثال مانويل كاستلز Manuel Castells[1] وانتوني غدنز Antony Giddens[2] وستيف جونز Steve Jones[3] وخلصوا إلى أن المجتمع الرقمي أدى إلى خلق هوية جديدة قائمة على مواجهة بين الشبكة والذات.

(1) Castells, Manuel: The Power of Identity, Oxford: Blackwell , 1997.
(2) Giddens, Antony: Modernity and Self- Identity: Self and Society in the Late Modern Age, Cambridge: Polity, 1991.
(3) Jones, Steve: Doing Internet Research: Critical Issues and Methods for Examining the Net. Thousand Oaks, CA: Sage, 1999.

لكن لنحلل كيف تمت هذه المواجهة وكيف يمكن الوصول إلى الهوية الرقمية العالمية؟

مع بروز التقانة الرقمية في حياة المجتمعات، يمكننا أن نميّز ثلاثة أصناف من الهويات:

- الهوية الوطنية (التقليدية): تخضع هذه الهوية لأيديولوجيا الدولة، فيكون مصدر أفكارها متكونًا من مؤسسات التنشئة الاجتماعية جميعها، التي تبدأ مع الأسرة وصولًا إلى الإعلام الرأسي الموجّه الذي يصب في خلق هوية مؤطرة بحدود وطنية أو قومية، بحيث تكون الهوية الوطنية قوية بقدر قدرة الدولة على تأمين متطلبات مواطنيها وتحقيق شروط الاندماج الاجتماعي لديهم، ذاك أنّ ضعف الدولة في خلق شعور الانتماء والولاء للهوية الوطنية يفتح المجال واسعًا لبروز الهويات المتمردة.
- الهوية المتمردة: في ظل ضعف الدولة في تحقيق الهوية الوطنية الموحدة، تبرز الهويات المصغرة التي يحمل كل منها مشروعه الهوياتي، ويكون هذا الضعف مدخلًا للجماعات التي لم تتمكن من الانصهار في الكل الوطني، والتي لم تتمكن من الشعور بالأمان الاجتماعي، فتقوم بالتقوقع على ذاتها والتمسك بالعامل البيولوجي فيها (العرق، الجنس)، أو التاريخي (الأقليات الدينية والإثنية) أو الجغرافي (الأقليات الإقليمية)، ويشعر هؤلاء أن هويّتهم مهدّدة ومقصيّة، فيصبح المجتمع الرقمي مكانًا بديلًا لإثبات الذات، فينتج الخطاب العنصري، والقومي، والديني، والتكفيري، والسياسي كما ذكرنا سابقًا. وبالتالي يظهر الأفراد غير الرقميين الذين يستخدمون الوسيط الرقمي لغايات مجتمعية واقعية، ولغايات هواياتية دون أن يكون المجتمع الرقمي غاية أو هدفًا في خلق مساحة إنسانية مشتركة.

- الهوية الرقمية العالمية: يشعر هؤلاء الأفراد أن الهوية الوطنية التقليدية لم تعد تلبي طموحاتهم في ظل الزمن اللازمني والفضاء الرحب، وتصبح الذات على حد قول أنتوني غدنز «مشروعًا انعكاسيًا مرنًا»، حيث لم توفر الهوية الوطنية، ولا الهوية المتمردة لهؤلاء، أي معنى حقيقي للهوية. حيث لم تعد الأواصر العائلية بين الأجيال المتعاقبة، أو القيم الاخلاقية والدينية، أو الثقافات القومية، أو حتى الجغرافيا الوطنية، مصدرًا يلبي تطلّعات هذه الفئة المتجاوزة للحدود وللذات. فمن كان يسأل «من نحن؟» كجماعة وطنية أو جماعة أقلوية، بات يسأل اليوم «من أنا» في ظل وجود خيارات مستجدة في أسلوب الحياة تتخذ طابعًا جدليًا ما بين المحلي والعالمي.

في ظل التفاعل القائم ما بين المجتمع الرقمي والذات، لا بد من استعراض أهم المبادئ التي تؤسس للهوية الرقمية ضمن الواقع المجتمعي، هذه المبادئ تبقى في ملعب المستخدمين لشبكة الإنترنت، بحسب ميولهم وخلفياتهم الثقافية وعصبياتهم الخفية.

نحدد المبادئ وفق الآتي:

- **اللغة Language:**

تعد اللغة الرسالة الفكرية والثقافية التي يتميز بها المجتمع وتشكل جزءًا أساسيًا من هويته، كما أنها تعتبر المدخل الأخطر لبعثرة المجتمع والعبث بتراثه وتاريخه وذاكرته وعزله عن ماضيه لصالح الثقافة الوافدة التي تعمل على بسط لغتها دليل التفوق والهيمنة، باعتبار أنّ اللغة مؤشر ودليل واضح لارتقاء الحضارة أو سقوطها. وتشير الأحداث التاريخية إلى أن ما من حضارة إنسانية إلا وصاحبها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في مضمونه صراعًا لغويًا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية.

أمام ذلك تصبح اللغة مبدأً أساسيًا لتحقيق الهوية الرقمية، ويصبح التفاف أهل الضاد على لغتهم في المجتمع الرقمي مسألة وجودية، حيث تشير معظم التقديرات للمحتوى الرقمي العربي، بأنه يتراوح ما بين 3 c إلى 12 c مقارنة بالمحتوى الرقمي العالمي بحسب أدنى التقديرات وأعلاها[1]. ويشكل ضعف المحتوى الرقمي العربي أحد أهم العوائق التي تواجه البلدان العربية في إبراز هويتها عالميًا.

- **آداب التواصل Netiquette[2]:**

هي عبارة عن مجموعة من القواعد الاجتماعية التي تسهل التفاعل في المجتمع الرقمي من خلال وسائطه المتعددة، والتي تشكل سلوكًا جديدًا يعرف بالسلوك على الخط Behavior Online. وتشكل هذه الآداب والأصول الحديثة في عالم التواصل جزءًا أساسيًا من ثقافة الجيل الرقمي.

- **أخلاقيات التواصل Ethics of Communication:**

لا بد من توفر أخلاقيات التواصل ما بين المستخدمين؛ لأنها تتشكل من قواعد سلوك على المستوى الوطني والاجتماعي والمهني، خلاف الأخلاق Morals التي تتشكل من منظومة ثابتة من القيم لا اختلاف في شأنها.

**ترتكز أخلاقيات التواصل لديه على مستويين:**

- مستوى عام: من خلال توافر قواعد النقاش السليم أو المثالي في قضية عامّة ضمن مجال عام، تؤدي إلى اتفاق المشاركين في النقاش.
- مستوى خاص: توافر مبررات وحجج عقلية تحقق الإجماع أو التوافق في شأن المعايير الخلقية اللازم توافرها لتنظيم عمل أو مهنة أو جماعة محددة (الأخلاقيات التطبيقية).

(1) التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي، 2013.
(2) منصوري، نديم: سيولوجيا الإنترنت، لا ط، بيروت، منتدى المعارف، 2014.

- **التواصل الثقافي الرقميDigital Cultural Communication:**

يتيح التواصل الثقافي الرقمي بشكل واسع إنتاج ونشر الهوية والثقافة الرقمية، وفي إنتاج ونشر الفكر العصبوي والفكر المنفتح على حد سواء، أي أن المنتج الثقافي يمكن أن يوظف المجتمع الرقمي للغايات التي يخطط لها بغض النظر عن مدى فائدة أو مخاطر ذلك على جمهور المتلقّين. وبدورهم يمكن لمتلقي الثقافة ومستهلكيها الاستفادة القصوى من تلقّي الإنتاجات الثقافية المفيدة أو التفاعل مع المنتجات الثقافية المضرة.

من هنا نجد أن التواصل الثقافي الرقمي ومع ما يكتسبه كل يوم من ازدياد ملحوظ بالعدد والاهتمام، قد شكل فضاءً ثقافيًا موازيًا للفضاء الثقافي التقليدي، مما جعله جزءًا لا يتجزأ من استراتيجيات وخطط التنمية الثقافية في أي بلد في العالم.

- **التبادل الثقافيCultural Exchange:**

إن عملية التبادل الثقافي قادرة على نقل الثقافة الرقمية لإبراز الهوية الرقمية لدولة أم جماعة ما، وما تتضمنه من فكر ومعتقدات وإبداعات وإنتاجات ثقافية على مختلف المستويات؛ وعليه فإن الانطلاق من الإطار المحلي (التقليدي) إلى الإطار العالمي (الرقمي) يساعد أي ثقافة في مواجهة الهجمات الثقافية الرقمية العالمية الآتية إليها عبر المجتمع الرقمي، وفي إبراز الهوية الرقمية الخاصة بها، بما تحتويه من غنى ثقافي متراكم في مختلف المجالات؛ الأمر الذي يفتح المجال أمام التبادل الثقافي المتوازن بدلًا من عملية المثاقفة الآحادية الجانب، والمؤثرة في الجماعات والأفراد، وفي تحويلهم إلى تابعين لثقافة عالمية واحدة لا تشبههم ولا تعبر عن هويتهم الخاصة.

- **الانفتاح Openness:**

إن الانفتاح على الثقافات الأخرى، مسألة إنسانية منذ ظهور العمران البشري، بحيث إن تاريخ البشريّة الحضاري هو مجموع التفاعلات الثقافيّة عبر الاتصال والاحتكاك بين الأفـراد والجماعات والمحيط، عن قرب (المجتمعات الواقعية) أو عن بعد (المجتمعات الرقمية).

ومن البديهي أن يكون الانفتاح والتواصل والتبادل الثقافي من المبادئ المساندة لولادة الهوية الرقمية العالمية بطريقة ندية ومتوازنة، دون الخوف من ذوبات الهوية الخاصة أمام كثرة الهويات المقابلة في المجتمع الرقمي.

- **الحوار Discourse:**

تنتشر في المجتمع الرقمي ملايين الحوارات العرضية أو السطحية أو الشخصية أو العصبوية، ويصب مجمل هذه الحوارات في خانة مجادلات الذات مع الذات، أو الذات مع الآخر، إلا أن هذه الحوارات على أهميتها على المستوى النفسي، إلا أنها لا تجدي نفعًا في عملية الكشف عن الهوية الرقمية الحقيقية لفرد أو لجماعة ما. ومن هنا فإن الحوارات العقلانية الجادة في قضايا عامة مشتركة، هي السبيل في بلوغ مجتمع رقمي مثالي، قائم على مبادئ الحوار والعدالة والمساواة، وهي المدخل للخروج من سلوكيات العصبيات والتطرف والكراهية.

يجب أن يشعر الأفراد غير الرقميين، الذين يتخذون من الوسائط الرقمية منصة عبور لتمرير أفكارهم وخطاباتهم العصبوية، أن المجال العام الرقمي ليس ساحة للقتال، بل ساحة للحوار، وعليهم أن يتحولوا إلى أفراد رقميين ينتمون إلى مجال عالمي ركيزته الأساسية الحوار والنقاش البناء.

- **التكامل الإنساني Human Integration:**

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا**»، ولعل هذا القول يلخص الكثير من الدلالات في ضرورة نبذ العصبيات والفكر المتطرف والانصياع للآخر، سواء أكان جماعة محلية أم عالمية؛ لأن الإنسان يمتلك الحرية البشرية ذاتيًا، ويعود خضوعه للآخر بناءً على خياره الشخصي.

ففي عصر المجتمع الرقمي الذي تعمل الكثير من الجهات على إعادة إنتاج التسلّط، وعلى إخضاع الفرد عبر الوسائط الرقمية لتكريس مفاهيم التبعية والعصبية، يصبح على الفرد أن يتحمل مسؤولياته، وأن يتمتع بوعي جديد، فالهوية الرقمية القائمة على حرية الفكر يمكنها أن تحقق التكامل الإنساني الذي يعتبر غاية أساسية لوجود الإنسان.

رسم رقم 2: مبادئ الهوية الرقمية من الناحية الاجتماعية

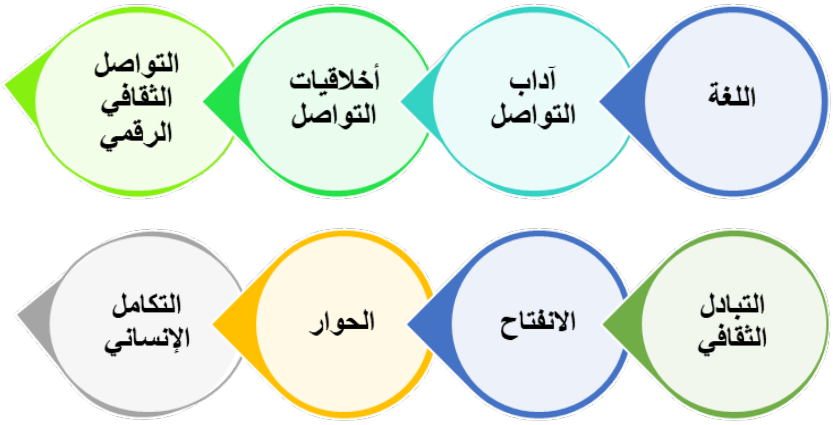


المصدر: المؤلِّف

### رابعًا- مواجهة العصبية في المجتمع الرقمي:

كيف يمكننا مواجهة خطاب العصبيات في المجتمع الرقمي؟

إنّ مسألة المواجهة لا تقف بالطبع على عاتق جهة واحدة، وبالتالي

لا بد من تظافر الجهود وعقد الشراكات ما بين صانعي القرار من جهة، وبين الهيئات التربوية والثقافية والمنظمات الدولية والمجتمع المدني المتخصص في هذا المجال.

لذا نقترح في هذا الصدد الأمور الآتية:

**1- تعزيز الأطر القانونية الرادعة لخطاب العصبيات:**

إنّ مواجهة خطاب العصبيات يحتاج إلى أطر قانونية وآليات عمل ثابتة من أجل متابعة جرائم العنصرية والتمييز والكراهية، بما في ذلك خطاب التشهير والإساءات الكلامية والصورية التي تتأرجح ضمن مستويات مختلفة تبدأ بالشتائم والحوار الرخيص؛ لتصل إلى حدود الجرائم الرقمية والإرهاب الرقمي الذي الذي يهدد الأمن القومي للبلاد.

إنّ الواقع التشريعي في العالم العربي، وخاصة فيما يرتبط بتأثيرات التكنولوجية الرقمية يحتاج إلى هيكلة جديدة بكل معنى الكلمة؛ حيث يعود إقرار هذه القوانين إلى سنوات سابقة تغيب عنها حكمًا المواد المرتبطة بالوصف القانوني للجرائم الرقمية، مثل انتهاك الخصوصية أو الجرائم السياسية التي تتخذ شكلًا جديدًا، أو في طبيعة النشر الذي اختلفت قنواته.

قد يكون هناك العديد من الجهود في هذا الصدد من قبل مجالس النواب العربية، إلا أنها ما زالت خطوات بطيئة لا تواكب سرعة التكنولوجيا؛ لذلك يجب متابعة الإطار التشريعي والضغط في هذا الاتجاه للحد من الجرائم الرقمية المرتكبة بحق الآخرين وبحق الأمن القومي برمته.

**2- تعزيز التعليم الرقمي كإستراتيجية لمواجهة خطاب العصبيات:**

في ظل المجتمع الرقمي الذي نعيشه، لم تعد المدرسة التقليدية أو حتى الجامعة المكان الوحيد لتلقي العلم، هذا يعني أننا أصبحنا أمام

منظومة رقمية متكاملة في التعليم تطال التلميذ، المعلم، المنهج، بيئة التعليم، المحتوى التعليمي، المكان..

إنّ من أهم الخطوات التي تحصّن الجيل الرقمي في المستقبل، هي التحصين العلمي لبلوغ المعرفة الرقمية القائمة على استخدام التكنولوجيا كوسيلة لتعزيز وتوسيع وتعميق التعلم من خلال التواصل المجتمعي والوطني والدولي، كما أنها تعزز التعاون والمشاركة، بحيث يصبح المتعلمون من مختلف القدرات والاحتياجات قادرين، مع الآخرين أو بشكل مستقل، على الوصول إلى المعرفة اللازمة واكتشافها وإدارتها وتقويمها ودمجها وخلقها بأمان وأخلاق.

### 3- التربية على المواطنة والمواطنة الرقمية:

إنّ توعية الأفراد والجماعات بحقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية، وتكريس مفاهيم حرية التعبير والمسؤوليات والتداعيات الاجتماعية التي تترتب عليها، تفضي إلى المواطنة الحقة التي تساهم في تعزيز الاندماج المدني.

كما أنّ الاهتمام ببرامج التربية على المواطنة الرقمية[1]، ولا سيما فيما يرتبط بآداب التخاطب وأخلاقيات التواصل والنقاش يحقق مسألتين أساسيتين: الأولى، تحصيل المعرفة والمهارات من أجل التعريف بخطاب العصبيات وتبيان ركائزه وأشكاله ومخاطره[2]. والثانية، أن تمكّن الأفراد من مواجهة هذا الخطاب والتدريب على كيفية التعامل معه، وإتقان مهارات الحوار البنّاء، والتفكير النقدي، وأخلاقيات النقاش التي تؤدي إلى نبذ

(1) هي مجموعة من القواعد والسلوكيات الملائمة والمسؤولة التي على الفرد أن يكتسبها ليكون عضوًا في المجتمع الرقمي. وتتكون هذه القواعد من ما يعرف بالمحاور التسعة للمواطنة الرقمية وهي: الوصول الرقمي، الأمن الرقمي، الصحة والسلامة الرقمية، الحقوق والمسؤوليات الرقمية، القوانين الرقمية، اللياقة الرقمية، محو الأمية الرقمية، الاتصالات الرقمية، التجارة الرقمية.

(2) Ribble, Mike: Essential elements of digital citizinship.. International Society for technology in education, 2014.

العصبيات وتنظيم الاختلافات أو تحقيق الاتفاق.

وعليه لا بد من وضع خطة عمل تتقاطع ما بين القطاعين العام والخاص والمجتمع المدني والأهلي لتعزيز مفهوم المواطنة الرقمية.

## 4- تطوير المهارات النقدية لدى المستخدمين لمواجهة خطاب العصبيات:

إن مسالة تطوير مهارات الفكر النقدي، والاستعمال الأخلاقي الذاتي للوسائط الرقمية واعتماد أخلاقيات النقاش، تشكل نقطة انطلاق أساسية لتطوير ثقافة التعامل مع المجتمع الرقمي وأفراده المتنوعين، وخطوة مهمة في مشروع تعزيز المواطنة الرقمية الساعي إلى تحويل الأفراد اللارقميين المستخدمين للمنصة الرقمية بشكل مسيء لتفريغ حقدهم وعصبيتهم، إلى أفراد رقميين مشاركين في عملية التكامل الإنساني في عالم واحد يضم الجميع.

كما أن التفاعل مع صانعي القرار والمدونين من قادة رأي والمنظمات غير الحكومية ضرورة ماسة لإنجاح أي مبادرة في هذا الصدد.

### خاتمة:

يبدو ممّا تقدم، أنّ المجتمع الرقمي ليس منفصلًا عن المجتمع الواقعي؛ لذلك لا بد للأفراد المستخدمين للإنترنت وللمنصّات الرقمية أن يُدركوا أنهم يتفاعلون ضمن مجتمع متكامل، وأن العلاقات الرقمية تحكمها أصول وضوابط أخلاقية تمامًا مثل المجتمع الواقعي.

كما لاحظنا أنّه بالرغم من وجود معايير المجتمع الموضحة في قواعد وسياسات منصات وسائل التواصل الاجتماعي، وأحكام القانون أثناء ممارسة حقهم في حرية التعبير، لا يزال خطاب العصبيات حاضرًا؛ لأن الرادع الحقيقي لا يكمن في الإجراءات القانونية التي اتخذت في العديد

من الدول، أو في المحاولات التي يسعى المجلس النيابي اللبناني لإقرارها، بل تكمن في كيفية التنشئة قبول الآخر، والتدرب على كيفية الحوار معه بأسلوب عقلاني، مبني على الحجج العقلية والعلمية المقنعة، وليس على خطاب العصبيات والكره والتشهير الذي يحوّل المجتمع الرقمي إلى صورة طبق الأصل عن المجتمع الواقعي.

إنّ المجتمع الرقمي هو مجتمع قائم على مبدأ الانفتاح الثقافي والتفاعل الحر والتشارك العالمي، من هنا يصبح تعزيز القيم العالمية المشتركة القائمة على الحرية والعدالة والمساواة الأخلاق أمرً أساسيًّا؛ ليكون الجيل الرقمي جيلًا عالميًا منفتحًا، لا جيلًا يعيد إنتاج الأجيال السابقة في تخلفها وتقوقعها والالتفاف على ذاتها.

وعليه يمكن إضافة بعض التوصيات، على ما عرضناه أعلاه حول كيفية التخلص من خطاب العصبيات في المجتمع الرقمي في النقاط الآتية:

1- إجراء حملات توعية للجمهور العام، بأشكال الجرائم الرقمية والتدريب على كيفية مواجهتها، والأساليب المعتمدة لمواجهة الانتهاكات وخرق الخصوصيات.

2- مواكبة الإجراءات القانونية من قبل المجتمع المدني والأفراد لإقرارها، لتكون الجزء الرادع للمرتكبين، ولكي لا تمر الجرائم من دون عقاب.

3- تعزيز قيم التسامح وحقوق الإنسان والحوار البناء وأخلاقيات النقاش والنقد الهادف.

4- تعزيز الفكر الابتكاري؛ فمعه يتمكن الجيل الرقمي الجديد من ابتكار الحلول لكافة مشاكله.